باب المراسلة والمناظرة

يهودية اشبنجلر

عزيزي الاستاذ الفاضل محرر المقتطف

بعد التحية ، اطلعت على ما كتبه الاستاذ الحسيني في مقتطف نوفمبر وأرجو ان تسمحوا لي بنشر الكلمة الآتية التي سأحاول فيها للمرة الاخيرة ان أضع الامر في نصابه ، وأن أكشف عن بعض ما في آراء الاستاذ الحسيني من زيف وانحراف ، ولست أبالي بعد ذلك أرضم الاستاذ رأسه في شواهقه « الاولمبية » ام خفضها لان هذا من شؤونه الخاصة ، وأنا انما أكتب احقاقاً للحق وازهاقاً للباطل

المقصود بيهودية اشبنجلر هو كونه من أصل يهودي ، ولا يستلزم ذلك بطبيعة الحال ان يكون الرجل يهودي العقيدة ، لان أمثال اشبنجلر وفرويد ويرجسن ومن اليهم من كبار المفكرين وأعلام الثقافة أحرار الفكر ، ولهم عقائد فلسفية خاصة يدينون بها ، وفرويد مثلاً يعتقد ان الاديان جميعها وهم من الاوهام التي تغشى النفوس ، وهينريك هيني خرج من الديانة اليهودية ودخل في المسيحية ولم يجرده ذلك من يهوديته الاصيلة ، وقد أشرت الاشارة الى ذلك لاعتقادي ان هذا مفهوم من مضامين الكلام وواضح في سياق الحديث ، ولكن يخيل اليّ أن اغفال النص على ذلك كان له شيء من الأثر في توجيه الاستاذ الحسيني الى تلك النظرية العجيبة التي أعلنها غير هياب ولا وجل واعتصم بها وهي نظرية الاكتفاء في الحكم على الرجل بأقواله وأفعاله والاعراض عن شهادة الشهود لانها في نظر الاستاذ الحسيني لغو وفضول ، واني استنكر صدور مثل هذا الرأي من رجل عادي مبتدىء فضلاً عن رجل مثل الاستاذ الحسيني يستقي الفلسفة من ينابيعها الاصلية . ومن المسلم به اننا نعرف أعمال الناس من طريقين ، طريق الرواية او طريق المشاهدة ، والمعرفة عن طريق الرواية تستدعي التثبت من صحة الوقائع بالرواية والموازنة بين اقوال الرواة وفحصها وغربلتها ، وطريق المشاهدة لا يؤمن عثاره ، لان مسالك هذا الطريق عرضة للاغترار بالظواهر والاتجاه الخاطىء في تفسير الاعمال وقد يأتي احد الناس عملاً من الاعمال ظاهره الخير وباطنه لا يمت الى الخير بسبب فيخدع المشاهد عن حقيقته ، والحكم على الاعمال البادية يقتضي معرفة الدوافع الخفية والسيئات المبيتة. اما الحكم على الناس بأقوالهم فاذا اقول فيه ، ربما صح الأخذ به بين سكان « المدينة الفاضلة »

اما العالم الذي نعيش فيه فليست اموره بهذه البساطة التي تسمح لنا بان نكتفي في الحكم على الناس بأقوالهم كما ينصح لنا الاستاذ الحسيني دون ان يقدم لنا دليلاً واحداً على ان الشر قد أصبحوا معصومين ، والفلسفة كما يعلم الاستاذ الحسيني قائمة على الشك ، والشك هو التجربة وهي في صميمها ضرب من الشك ، وأخذ الناس بأقوالهم بلا مراجعة ولا تمحيص ينافر الروح الفلسفية ويناقض المذاهب العلمية وأنا أتهم الاستاذ الحسيني نفسه بأنه غير وفي لنظريته لانه لم يكتف في الحكم على تأثير اسبنوزا في حيتي بحديث حيتي عن نفسه بل حاول ان يشك في ذلك معتمداً من ناحية على رأي شبنجلر ومن ناحية أخرى على مفكر او مفكرين مجهولين في مجلة او مجلات مجهولة وكان من حق نظريته عليه أن لا يحذفها كل هذا الخذلان المبين ويتخلى عنها في المواقف الحرجة وقد عوّدني الاستاذ الحسيني في مناقشته أن يقول غير ما يريد ويريد غير ما يقول ولعله في تقرير هذه النظرية قد جرى على عادته وأراد شيئاً آخر أقرب الى الحق وأدنى من المعقول واني أحسن به الظن وأعتقد انهُ قد تورّط في هذه النظرية

ويرى الاستاذ الحسيني اني لم أكن دقيقاً في تفهم مرامي كلامه لاني لم أعن بالتفريق بين قوله عن اسبنوزا بأنهُ كان صدى للفلسفة العربية الى حد كبير وانهُ صدى على الاطلاق وأحب أن يعرف الاستاذ الحسيني ان اعتراضي هنا ليس على « الحكم » وانما على « الكيف » والرجل الذي يكون صدى لغيره الى حد صغير فضلاً عن الحد الكبير لا يصلح للفلسفة ولا تصلح له الفلسفة والقول عن اسبنوزا بأنهُ كان صدى الى حد كبير أو حد صغير امتهان لا يعادله امتهان وقد تأثر شوبنهاور بفلسفة كانت ولم يقل احد انهُ كان صدى لكانت الى حد كبير او صغير وتأثر نيتشه بفلسفة شوبنهاور ولم يجترىء احد على ان يعزو له بأنهُ كان صدى الى حد ما واستعمال لفظة صدى في مثل هذه المواقف من المسائل غير اللائقة وهذا من البديهيات التي يضطرني الاستاذ الحسيني الى الخوض فيها كما اضطرني الى أن انبه الى دقته في استطراده ليتهمني بعد ذلك بالخروج عن الموضوع

واني أعيد على سمع الاستاذ — اذا تفضل هذه المرة وأعارني سمعه — اني قد اعتمدت في تقرير ان شبنجلر من أصل يهودي على النص الوارد في كتابة المفكر الكبير والكاتب النابه ريشارد كالرجي وماذكره الاستاذ الحسيني من الحجج التي لا تكاد تتماسك قد تصدع على صخرة هذا النص القوي واني أعد الاستاذ الحسيني وحضرات القراء بأني سأبادر الى نقضه اذا عثرت على رأي ارجح وزناً وأقوى حجة في نفي اليهودية عن شبنجلر . وقد اخذ عليَّ الاستاذ استعمال لفظة « افترض » ولا أذكر اني وقفت عليها في الشعر الجاهلي ولم يتسع

وفي تحقير ذلك لي هذه الأيام عن أني قد جريت في استعمالها على القياس ، ووروودها في كتابة الكبيرين من كتاب العصر المجيدين ربما يشفع لي في ذلك ، وأني أشكر للاستاذ الحسيني ، على أي حال ، أنه استرعى نظري الى ضرورة التدقيق في استعمالها ، وأود ان أنبه الاستاذ الحسيني الى ان استعماله لفظة « ممتن » بمعنى شاكر من الاخطاء اللغوية الشائعة وقد نصَّ على ذلك الاستاذ « الزعبلاوي » في صفحة ٢٦٦ من كتابه القيم « اخطاؤنا في الصحف والدواوين » وذكرها كذلك الاستاذ داغر في صفحة ٤٥ من كتابه « تذكرة الكاتب » وفي مستطاع الاستاذ الحسيني ان يرجع الى هذين المصدرين ليقتنع بضرورة الاقلاع عن هذا الاستعمال

واني أشكره لما أثار من جدل لان مناقشة الاستاذ شائقة ومسلية وان كانت من ناحية الانتهاء الى نتيجة ثابتة محققة غير مجدية

علي ادهم

***

[المقتطف] طالت المناقشة بين الكاتبين الفاضلين وتشعَّبت وتعددت فيها مطارحات الأدب والفلسفة ، ولكنها لم تحسم بالوصول الى نتيجة يقبلانها كلاهما . فالاستاذ علي أدهم مستندٌ الى نصٍّ جاء في مقالٍ للكاتب المشهور ريشارد كارجي وقد نشرته مجلة « العصر الحيّ » بغير تعقيب عليه او تشكك في صحة أقواله . وليس للاستاذ الحسيني نصٌّ صريحٌ يستند اليه في انكار يهودية شبنجلر وانما اعتماده على آرائه وتشيُّع النازيين لها مع ما هو معروف عنهم من عدائهم لليهود واضطهادهم إياهم

وقد وردت ترجمة موجزة للفيلسوف شبنجلر في الطبعة الرابعة عشرة من دائرة المعارف البريطانية فلم يرد فيها ذكر لأصله وكل ما جاء فيها انهُ « فيلسوف ألمانيٌّ ولد في بلاكنبرج في الهارتز يوم ٢٩ مايو ١٨٨٠ » الخ

وفي مكتبة رئيس تحرير المقتطف كتاب انكليزي عنوانهُ « ما أسداه اليهود الى الحضارة » وفيه ذكر العلماء والفلاسفة ورجال الادب والفن من اليهود وليس فيه ذكر لشبنجلر بينهم . ولكن هذا ليس الاَّ دليلاً سالباً على انهُ ليس بيهودي

وقد يتعذر علينا الآن الوصول الى نصوص صريحة فاصلة في هذا الموضوع تأييداً لقول كارجي او إدحاضاً له . ولعلَّ حضرة صاحب السيادة ناحوم افندي الحاخام ، المعروف بسعة علمه ، والاستاذ علي حسن الحاكم المتوفر على دراسة شبنجلر باللغة الالمانية — وقد كتب فصلاً ممتعاً في فلسفته في مقتطف مايو ١٩٣٥ — يتفضلان بابداء الرأي ولهما الشكر

وقد أخذ الاستاذ علي أدهم على الاستاذ الحسيني استعمال لفظ « ممتن » وهو مع الأسف من وضع مصححي التجارب بالمقتطف